الطوفان ...

مسرحية في فصل واحد

بقلم الدكتور عمر النص

غرفة في بناء قديم لها في صدرها مدخل يؤدي الى باب يصل البناء بالطريق وباب على اليسار يفضي الى بقية غرف البيت . أما الى اليمين فهناك مدفأة حجرية فيها نار خافتة ، وإلى جانب المدفأة منضدة فخمة رصت عليها رزم ضخمة من الصحف البالية القديمة ، ووراء المنضدة نافذة مغلقة اسدلت عليها ستارة صفيقة . أثاث الغرفة فاخر ولكنه متآكل مهترىء . وفي وسط الغرفة مقعدان وثيران قد تهرأ غطاؤهما وظهر القطن من خلال ثقوب فيهما ، وقد جلس على احدهما الاب وهو رجل في الستين من عمره نحيل أشيب وجلست على ثانيهما الام وهي امرأة في الخمسين من عمرها يدل منظرها على صبا جميل وطيبة قلب . وعلى مبعدة خطوتين من المقعد طست نصف مملؤ موضوع على ارض الغرفة تتساقط عليه قطرات من الماء يرشح بها السقف بصورة رتيبة . الغرفة مضاءة بضوء خافت يكاد يكون خياليا .

يرفع الستار عن الاب وهو ينفض الغبار عن رزمة من الصحف ثم يضعها على الارض ويدس يده في داخلها ويخرج منها احداها ويرجع بها الى مقعده في جوار الام التي لم ترفع بصرها اليه خلال هذه المدة والتي تقوم بحياكة صدار صوفي لصبي صغير .

الاب : لا . لا فائدة لا استطيع أن اصبر على كل هذا . أنظري الى هذه الجدران العفنة والباب الصدىء والنوافذ التي يلطمها الطوفان دون هوادة . أتظنين أن في مستطاعي أن أحتمل كل هذا عاما آخر ؟

الام : عام آخر ؟ من قال أن الطوفان سيدوم عاما آخر ؟

الاب : عام آخر . عامان . مائة عام . لا احد يدري كم سيدوم .

الام : ترى هل نعيش حتى نرى نهاية هذا الطوفان ؟

الاب : لا ادري . انظري . لقد تورمت قدماي . لقد تورمتا حتى بت لا اطيق أن أسير عليهما .

الام : لعلها الرطوبة قد آذتهما .

الاب : نعم . انها الرطوبة . انظري الى هذا السقف الذي يرشح ماء .

الام : ألم أقل لك أن تضع دثارا صوفيا على قدميك حين تجلس لتقرأ ؟

الاب : لا فائدة . لا فائدة . أي دثار يستطيع ان يقي قدمي هذه الرطوبة . أني احس بها تجري في عظامي كلها .

الام : لقد أوقدت لك نارا .

الاب : يجب أن أرى طبيبا عندما ينقطع هذا الطوفان . ولكن متى ينقطع ؟ أخاف أن نهلك جميعا قبل أن ينحسر عنا الماء .

الام : ألم تقل لي أنك لن تذكره مرة اخرى ؟

الاب : ولكن ماذا أنا صانع ان أنا توقفت عن ذكره ؟ لقد قرأت الصحف التي وصلت قبل الطوفان . لقد قرأتها جميعا . ثم حدث الطوفان فسدت الدروب وغمر الطين كل باب حتى اضطررنا جميعا الى البقاء في بيوتنا مغلقين .

الام : أعد قراءتها مرة أخرى فلا شك أنك واجد فيها شيئا مثيرا .

الاب : لقد قرأتها . لقد قرأتها مرات لا حصر لها . أستطيع ان اعيد عليك الان انباءها واحدا واحدا . استطيع ان أعيد عليك نوادرها واعلاناتها . حتى عناوينها غدت محفورة في ذهني حفرا .

الام : يخيل الي أحيانا أنك تتحدث اليها كما تتحدث الى انسان آخر .

الاب : لا . أنا لا أتحدث اليها بل أعيش معها . أعيش معها كما يعيش المرء مع اشباح يخافها ولكنه يخاف أن يعيش بدونها ايضا . نعم أنا اعيش معها . أحاورها . اداورها . أهرب منها تارة . ألجأ اليها تارة اخرى . لقد نضب خياني . لقد عقمت حياتي . لقد زهد فيَّ الناس . حتى هذه الاشياء التي تحيط بي منذ أعوام طويلة غدت تنكرني . تكشر في وجهي . أما هذه الجرائد ..

الام : ماذا تجد فيها ؟

الاب : أجد فيها أرضا صلبة أستطيع أن اقف عليها . انها الحقيقة الوحيدة التي لا مفر من القبول بها . لقد سلبنا الطوفان كل شيء . لقد غدت الحياة منذ ذلك الحين شيئا غريبا . لقد انقطعت شلتنا بالوجود ، بالشمس ، بالدفء ، بالهواء . لقد صرنا عبيدا مغلولين الى صخرة لا نعلم متى تنهزم امام الماء فتنحدر بنا الى اتقاع . نعم لقد صرنا عبيدا .. غير ان العبد لا يفقد الامل في أن يصبح حرا ذات يوم ! أما نحن فلا أمل لنا في النجاة .. لا امل لنا .

الام : الهذا تجد لذة في اعادة قراءة تلك الجرائد ؟

الاب : كما تجدين انت لذة في حياكة هذه الملابس الصوفية .

الام : اني أصنعها لان هناك اطفالا كثيرين سوف يحتاجون اليها ذات يوم .

الاب : منذ حدث الطوفان وانت لا تصنعين غير هذا . طوال النهار تحوكين وتحوكين . كم قطعة حكت حتى اليوم ؟ الفا ؟ الفين ؟

الام : لا ادري . أني لا اعدها ولكن أضعها في مكانها من خزانتي .

الاب : ولكن ...

الام : ولكن ماذا ؟

الاب : ماذا يحدث لو اننا انتهينا قبل ان ينتهي هذا الطوفان ؟

الام : سيكون هنالك دوما أطفال يحتاجون الى ادثرة من الصوف .

الاب : أتعلمين ؟ الام : ماذا ؟

الاب : .. لو كان لنا .. لو كان لنا (لا يكمل) .

الام : لا تقل شيئا .

الاب : (يفتح جريدته ويضع نظارته على عينيه) : سأقرأ جريدتي (يقلب صفحاتها) سأقرؤها مرة اخرى (تقع عيناه على نبأ فيتوقف) أسمعي ، هذا نبأ ذو شأن (يقرأ) : يقول علماء الآثار ان المكتشفات التي توصلت اليها بعثة التنقيب الدنمركية في جبال آرارات قد تصل بالعلم الحديث الى معرفة الاسباب الحقيقية التي أدت الى حدوث الطوفان . قامت البعثة بتصوير تلك المناطق لتحديد الموضع الذي رست عليه سفينة نوح . (يتوقف ثم يرفع رأسه وينزع نظارتيه) أترين ؟ سوف نتعلم شيئا .

الام : أجل سوف نتعلم شيئا .

الاب : ترى هل كان نوح راضيا عما حدث .

الام : لا أدري . تلك كانت مشيئة الله .

الاب : أجل مشيئة الله .

الام : لعل الطوفان كان عقابا . لقد أذنب قوم نوح .

الاب : الم يكن نبيا ، فلماذا تركهم يذنبون ؟
الام : لعله اراد ان يكون الطوفان درسا .
الاب : وطوفاننا هذا ؟ هل كان بسبب ذنب اقترفه احد ما ؟
الام : هذا ممكن .
الاب : لا شك انه كان بسبب ذنب ما . اني على يقين من هذا .
الام : لم نصدقه عندما زعم .. (لا تكمل)
الاب : لم نصدقه . ولكن من الذي لم نصدقه ؟
الام : (مترددة ناشجة) هو ..
الاب : هو ؟
الام : أجل ابننا .
الاب : ابننا ! نعم . لا ادري كيف تستطيع هذه الكلمة ان تخرج من بين شفتي ، فانا لست ابا .. لست ابا .
الام : بلى . انه ابننا . لقد حملناه في دمنا .
الاب : لقد فقدته حين تركته يفقدني .
الام : لقد هزئت بما قال .
الاب : لم اكن اعلم ان عينيه كانتا اقوى من عيني .. ترى اين هو الآن ؟
الام : (لا تجيب)
الاب : لعله ما يزال في المدينة . لقد رحل عنا ولكن لا اظنه رحل عن المدينة .
الام : (لا تجيب)
الاب : لقد سألته أن يبقى .
الام : كان الوقت قد فات .
الاب : كدت أبتهل اليه ولكن كان في عينيه اصرار غريب .
الام : لم يكن ثمة فائدة من محاولة اقناعه .
الاب : لقد جهدت في ان اريه صوابا . كنت احس ان ما اشرت عليه به كان صوابا .
الام : كلنا لا نفهمه احيانا . كان يخيل الي انه كان يتحدث الي من وراء غيمة
الاب : لقد اراد أن يتزوج من تلك الفتاة فاردت ان اجد له واحدة خيرا منها .
الام : لقد كان يحبها .
الاب : يحبها . اجل هذا ما قاله لي . ولكن كنت اريد له خيرا منها .
الام : لعله كان يرى فيها ما لم تر انت .
الاب : وهكذا تزوج منها على الرغم مني . لقد تزوجها .
الام : وماذا كنت تريده ان يصنع ؟ لقد ظل يجهد في ارضائك زمنا .
الاب : ثم حدث الطوفان .
الام : أجل . ثم حدث الطوفان .
الاب : كم مر من السنين على هذا ؟
الام : لا ادري . فالدروب مملؤة بالطين والناس لا يأتون لزيارتنا .
الاب : لا شك اننا كبرنا . انني احس بقدمي تؤلمانني وبعيني تزدادان ضعفا .
الام : لا شك في ذلك .
الاب : هل تظنين اننا تغيرنا ؟ أعني هل تظنين أن هذا الكبر قد بدا على وجهينا ؟
الام : لماذا تسأل ؟
الاب : لماذا اسأل ؟ لا ادري . لعله مجرد سؤال . انني اتساءل كيف يكون وجهي اذا ما عاد .
الام : سيكون لك الوجه الذي احبه .
الاب : اعطيني المرآة .. اريد ان ارى وجهي فيها .
الام : لم يعد لدينا اي مرآة . لقد تحطمت احدى المرآتين وانا امسحها
الاب : والثانية ؟
الام :لقد اخذها معه .

الاب : ماذا ؟ من ؟
الام : لقد اخذها ابننا معه عندما رحل .
الاب : لقد اصبحنا اليوم اذن بدون وجوه .
الام : حدق الى عيني تر فيهما شابا .
الاب : لقد رحل من غير أن يودعني .
الام : لعله هرب من فراقك .
الاب : هل كانت كلماتي قاسية ؟ اني لا اذكر شيئا .
الام : لا . لم تكن قاسية بل كانت كلماب أب .
الاب : هل رأيته عندما خرج من البيت ؟
الام : لقد رأيته عندما اخذ يجمع حوائجه فحاولت صرفه عن عزمه ولكنني لم افلح .. فاستخفيت وراء ستارة فرأيته يحدج الاشياء التي تركها وراءه بعينين كئيبتين ثم ينفلت من البيت خارجا .
الاب قلت انه اخذ معه المرآة .
الام : أجل . وأخذ معها شيئا آخر . أخذ صورتنا التي كانت على منضدة غرفته .
الاب : (وهو يحبس بكاءه) : ولدي . ترى هل كان يحدث هذا الطوفان لو انني استمعت الى ما قال ؟
الام : من يدري .
الاب : لقد قال أن طوفانا سوف يحدث .
الام : هل قال هذا حقا ؟
الاب : كان فتى يحب الحياة . كان يجد في تسلق الجبل والسير في الحقول لذة كبرى .
الام : كان ربيعا مشرقا وسط شتائنا البارد .
الاب : هل تذكرين عينيه ؟
الام : كانت عيناه نبعين من عسل .
الاب : كنت احب أن ارى صورتي فيهما . كانتا تضيئان لي طريقا لا ادري أين نهايته .
الام : كنا نريده ذخرا ليوم لا يؤنس وحدتنا فيه مخلوق .
الاب : لقد صار رجلا . ولكنه ظل في نظرنا صبيا صغيرا .
الام : كنا لا نفهمه احيانا . ألم أقل لك ذلك . كان يخيل الي من وراء غيمة .
الاب : الذنب كله ذنبي . كان يريد أن يجعل مني صديقا ولكنني كنت اصم اذني عنه .
الام : لقد احببته حبا عظيما ولكنك لم تكن تعير اذنا لما يقول .
الاب : كان يقول اشياء لا استطيع فهمها . أشياء لا استطيع قبولها .
الام : لقد كان يرى مالم نكن نرى .
الاب : كان يحلم احيانا فيخيل اليه ان في مقدوره ان يجعل من ذلك الحلم حقيقة . كنت اريد له ان يهبط الى الارض . ان يقبل بحدودها . ان يخضع لنواميسها . ولكن عينيه كانتا معلقتين دوما بنجم لا يراه احد .
الام : لعله كان أقوى منا بصرا .
الاب : لعله .
الام : ترى هل يعرف اننا ما زلنا في هذا البيت ؟
الاب : لا اشك في انه يعرف هذا . انني احس احيانا بقدميه تضربان في دروب المدينة ثم تنتهيان عند باب بيتي هذا فتتوقفان هنيهة طويلة ثم تنصرفان بعدها دون ان تدخلا .
الام : الدروب مغلقة والطين يغمر كل باب .
الاب : لا . انه يحاول ان يكنس الطين الاسود . ان يمسحه عن ابوابنا، ان يمسحه عن وجوهنا ايضا .
الام : ليتك استمعت الى ما قال .
الاب : لم اكن وحدي عندما أتى الينا بالنبأ .
الام : لقد اراد ان يقي المدينة شرا كبيرا .
الاب : لا ادري . لعلنا كنا نخاف جميعا ان نعترف بان شرا كبيرا

كان يتهدد المدينة . كنا قبضة من النباتات الرخوة تخاف ان تسمع بوجود ريح .

الام : ولكنه كان لكم نذيراً . لقد حدثكم عن الطين الاسود .

الاب : اجل . كنا جلوساً في الندوة عندما دخل علينا . كان في عينيه قلق مرعب كأنه خرج لتوه من كهف مملوء بالاشباح . اقترب مني وقال انه يريد أن يحدثني . قلت له أن يتحدث أمام الآخرين . كان مهذبا . قال ان حديثه لن يكون ممتعا . لقد ضحك الرجال . اما هو فقد ازدادت عيناه قلقا . قال انه كان يسير في ضاحية من ضواحي المدينة . انت تذكرين انه كان يحب السير في الامكنة النائية كأنه كان يجد فيها شيئا كان يبحث عنه دوما . قال انه كان يسير في ضاحية من ضواحي المدينة فرأى حديقة مهجورة نبتت فيها أزهار جميلة لم ير لها مثيلا من قبل . كانت الازهار تنتفض بشاشة كأنها كانت تريد أن تحييه . وبغتة رأى غيمة دكناء تسد الافق . كانت غمامة ليست كالغمامات . هكذا قال . قال انها كانت غمامة قاتمة مربدة انفجرت فجأة فاذا بقطرات ثقيلة من الطين الاسود تتساقط منها . لم تكن القطرات كبيرة . هكذا قال . ولكنها كانت ثقيلة مرعبة . قال أن واحدة منها سقطت على زهرة من الزهرات فترنحت الزهرة تحتها كأنها ترنح تحت ثقل صخرة . قال أنه مد يده الى الزهرة يريد أن يسندها فرآها تتآكل شيئا فشيئا حتى استحالت الى رماد قاتم موبوء . كانت القصة تكاد لا تصدق . لقد كان جادا . كانت عيناه مملؤتين بقلق مرعب . قال أنه هرع الى المدينة لاخباري . قال أن الامر ليس هزلا .. أن شيئا ما سوف يحدث وشيكا . لقد ضحك منه فريق وسخر فريق آخر . قلت له ماذا تريد منا أن نفعل ! قال يريد ان نبني سدا . قلت له ألان غمامة خبيثة مرت لحظة في سمائنا يجب أن نبني سدا . قال ان هناك غمامات اخرى سوف تأتي . ان القطرات السوداء سوف تتكاثر حتى تصبح طوفانا . قلنا له أن يضع قطرات من الطين الاسود لا يمكن ان تحدث طوفانا . كاد يبكي وهو ينصت الى حديثنا . قال أن استخفافنا بتلك القطرات لا يمكن أن يوقفها . أن يمنع سقوطها . أن يحمي المدينة منها . قال أحد الحاضرين انه طوف في بلاد الله كلها وقرأ اخبارها فلم يسمع بطوفان تحدثه قطرات قليلة . لقد ضحك منه رجال . أما انا فلم اكن ادري ماذا اقول . كنت أرى في عينيه جدا . وادى فيهما قلقا . ولكن هزء اصحابي جعلني انكر ما قال . ولكنه ما لبث ان انتفض فجأة وقال انه ذاهب لبناء السد وحده . لقد ضحك منه فريق وسخر فريق آخر . قيل له أن يديه ناعمتان صغيرتان لا تقويان على حمل رقش أو رقع صخرة . قال أن ايديا أخرى سوف تنضم الى يديه . قال الايدي القوية لا تصلح الا للهدم . أما الايدي الضعيفة فهي التي تعرف كيف تبني . كان في عينيه عزم لم اره قط في عيني انسان . ثم اقترب مني وانشأ يحدق الى عيني . أجل انشأ يحدق الى عيني وقال : اما أنت يا ابي فكنت اريد أن تكون لي سندا ولكنك خذلتني . ثم انحنى على يدي فقبلها (يأخذ في البكاء) .

الام : لا تبك . انك تعلم انه لم يكن يضمر لك الا حبا .

الاب : (مستدركا) لقد انحنى على يدي فقبلها وقال لي اني سأدرك ذات يوم أنه كان على حق . (يبكي)

الام : لاتبك . لا تبك . لقد حاولت ايقافه عندما عاد الى البيت لاخذ حوائجه ولكنني لم افلح .

الاب : لقد كان على حق . لقد كان على حق . لقد جاء الطوفان من بعد ذلك .

الام : اجل لقد جاء الطوفان . ولكن لم يكن في ميسورك ان تفعل شيئا.

الاب : لقد انذرنا . لقد قال لنا ان الطوفان لا بد آت .

الام : أجل . اجل . ولكن لم يكن في ميسورك ان تفعل شيئا .

الاب : ترى اليس في ميسورنا اليوم ان نفعل شيئا .

الام : بلى . ننتظر .

الاب : ننتظر ماذا ؟

الام : نهاية الطوفان .

الاب : نهاية الطوفان أم نهايتنا ؟

الام : لقد قال لي انه سيعود عندما ينتهي الطوفان .

الاب : لن يجد عندها في المدينة الا أمواتا .

الام : كلا . كلا .

الاب : (ينظر الى الطست الذي امتلأ بالماء المتساقط من السقف) انظري . لقد امتلأ الطست . هل اقوم لتفريغه في المطبخ .

الام : دعه لي . (تقوم متثاقلة فتأخذ الطست وتذهب به الى المطبخ)

الاب : (بصوت عال) هل قال لك أنه راجع يوما ؟

صوت الام (من المطبخ) : أجل .

الاب : لن اكون حيا عندما يرجع .

صوت الام : ماذا قلت ؟

الاب : قلت انني لن اكون حيا . الا ترين الى ما يحدث لنا ؟ الا ترين الى هذه الديدان التي تزدرد أيامنا يوما بعد يوم ؟ أتظنين بعد هذا كله أن في امكاننا ان نتابع الحياة كأن شيئا لم يكن ؟

صوت الام : لقد قال انه عائد يوما ما ...

الاب : لا . من الافضل لي أن اموت قبل أن يراني .

الام : (تعود بالطست وتضعه في مكانه) لم يبق عندنا غير قليل من المؤونة يكفينا شهرا أو شهرين .

الاب : وبعدها ؟

الام : لا ادري .

الاب : اذن فلم يبق لنا غير شهر او شهرين .

الام : الا اذا انتهى الطوفان

الاب : ولكن متى ينتهي ؟

الام : لا أدري .

الاب : آخ . أن قدمي تؤلمانني (يتحسس قدميه)

الام : لقد نفد الدواء الذي كنت ادلكهما به .

الاب (يضع الصحيفة جانبا) لقد سئمت هذه الصحف . لقد سئمتها.

الام : (تتناول الصوف الذي كانت تحوكه) ترى من سيلبس هذا الصدار ؟ ليتني اعرف .

الاب : لا احد .

الام : ماذا قلت ؟

الاب : لا أحد . قلت لا أحد . أنك تضيعين وقتك عبثا . لقد انتهى كل شيء . لقد امتد الطوفان حتى غمر كل رقعة . هل تظنين أن تلك الفئية الضعاف الذين يحاولون بناء سد سوف يفلحون في حسر هذا الطين الملوث ؟ لا . لا .اننا مدانون . لقد انكرنا اصدقاؤنا . انكرنا ابناؤونا . انكرتنا حتى الاشياء التي التصقت حياتها بحياتنا . اننا مدانون . لقد حكمنا على انفسنا قبل ان يحكم علينا الآخرون .

الام : لماذا تقول لي هذا ؟

الاب : لا أدري . لعلي اشفق عليك مما تحلمين به .

الام : وانت ؟ الا تحلم أحيانا ؟

الاب : بلى .

الام : وبماذا تحلم ؟

الاب : بالموت .

الام : بالموت ؟

الاب : اجل . اجل .
الام : هل اضع اذن هذا الصوف جانبا ؟
الاب : (مترددا) ضعيه حيث شئت . ولكن لا تسالينى بعد اليوم لم اقول لك هذا . ان عنادك يضايقني . يخيل الي انك تريدين ان تطيلي هذا الخيط الممدود الذي يصل بيننا وبين الحياة . ترى هل تظنين ان هذا الوهم يستطيع ان يمنحنا فرصة اخرى ؟ ان يهب لنا عمرا آخر ؟
الام : ان يدي لا تقوى على ترك هذا الصوف .
الاب : قلت لك اتركيه (صائحا) اتركيه .
(يسمع قرع على الباب الخارجي . يرهف الاب والام سمعهما كانهما لا يصدقان ما يسمعان)
الاب : هل سمعت شيئا ؟
الام : (مترددة) نعم .
(يطرق الباب مرة اخرى)
الاب : انه الباب . اني اسمع طرقا على الباب .
الام : ولكن الدروب مغلقة . هل افتح ؟
الاب : بل افتح انا . (يقوم الاب بخطوات ثقيلة ويتجه الى الباب فيفتحه) يدخل صبي وضيء في نحو السابعة من عمره ويقف في وسط الغرفة) .
الاب ماذا تريد يا بني ؟
الصبي : لا ادري . قالت لي امي ان اذهب لزيارة جدي
الام : (مندفعة نحوه بحنان) ماذا ؟ أانت ابن .. (لا تستطيع ان تكمل فتخنقها الدموع) .
الصبي : هل انتما جداي ؟
الام : نعم . نعم .
الصبي : ولكن لم اركما من قبل ؟ هل كنتما مسافرين ؟
الام : كلا .
الصبي : هل كنتما مريضين ؟
الام : كلا .
الصبي لعل شيئا ما اذن قد وقع بينكما وبين ابي .
الام : كلا . كلا .
الصبي : لقد قالت لي امي ان ابي يحبكما حبا عظيما .
الام : لقد فقدت حياتنا طعمها منذ رحل عنا .
الصبي : ولكنه لم يرحل . لقد ذهب الى الجبال ليبني سدا .
الام : نعم يا بني . لقد ذهب الى الجبال ليبني سدا .
الصبي : لقد قالت لي ايضا انكما تنتظران عودة ابي . ولكن ابي ما يزال في الجبال .
الام : وهل قالت لك متى سيعود ؟
الصبي : لا . لم تقل شيئا . انها تنتظره هي ايضا .
الاب : ولكن كيف .. كيف استطعت الوصول الى هنا ؟
الصبي : قالت امي أن آخذ الطريق المستقيم . قالت ان بيتكما يقوم عليه . ثم ارشدتني الى مكان البيت .
الاب : أما يزال بيتنا على الطريق المستقيم ؟
الصبي : لقد وجدته كما وصفته لي امي .
الام (الى الاب) : لشد ما يشبه اباه .. انظر الى عينيه . انظر الى انفه الدقيق .
الصبي : أصحيح انني اشبه ابي ؟ لقد سمعت مثل هذا الكلام من امي ايضا .
الام : نعم . كانني اراه وهو في عمرك هذا .
الصبي : قالت امي انكما ستسران لرؤيتي .
الام : لو لم تات لظل بيتنا قبرا . ولكن قل لي ..
الصبي : ماذا ؟
الام : الطين . اني لا ارى على ثيابك اثرا لطين .
الصبي : الطين ؟ لقد اغتسلت المدينة من الطين . لقد بنى ابي سدا .
الام : اغتسلت المدينة من الطين ؟
الصبي : نعم . ولكن ..
(ينظر الصبي الى الطست الموضوع في منتصف الغرفة وكانت قطرات الماء قد انقطعت منذ دخول الصبي ولكن دون ان يلاحظ احد شيئا)
الام : ماذا قلت يا بني ؟
الصبي لماذا تضعان الطست هكذا ؟
الام : الطست ؟ لا ادري (ترفع بصرها الى السقف فلا ترى شيئا) انظر (الى الاب) انظر . لقد انقطع الماء .
الاب (ذاهلا) : اجل . لقد انقطع الماء.
الصبي : هل اضع لكما الطست في المطبخ ؟
الام : كما تشاء يا بني . كما تشاء .
(يخرج الصبي بالطست)
الاب : لست افهم شيئا . لست افهم شيئا . لقد كان السقف يرشح ماء طوال هذه السنين .
الام : الم تسمع ما قاله الصبي ؟ لقد اغتسلت المدينة من الطين .
الاب : ولكن ما شان الطين بهذا السقف ؟
الام : لقد حدث ما كنا يائسين من ان يحدث
(يدخل الصبي)
الصبي : يبدو لي انكما لم تخرجا من هذا البيت منذ وقت بعيد .
الام : هذا صحيح . الا ترى الى وجهينا كيف فقدا نضارتهما ؟
الصبي : اتريدان مني ان اقوم لكما باي عمل ؟
الام : لا يا كبدي . اننا قادران على القيام بما يلزمنا .
الصبي : قالت لي امي ان اسالكما هل تحتاجان شيئا .
الام : لا . لا نحتاج شيئا .
الصبي : هل لديكما من المؤونة ما يكفيكما ؟
الام : اننا نتدبر امرنا .
الصبي : الم يات احد لزيارتكما قبلي ؟
الام : لم يبق لنا في المدينة صديق . لقد رحل اصدقاؤنا جميعا . اعني لقد رحل بعضهم واجبر بعضهم الآخر على الرحيل .
الصبي : الى من تتحدثان اذن ؟
الام : اننا لا نتحدث الا قليلا .
الصبي : هل تقرآن اذن ؟
الام : احيانا .
الصبي : سأحمل اليكما بعض الكتب عندما اعود مرة أخرى .
الام (بحرقة) : ولكن متى .. متى ؟
الصبي : قالت امي اننا سنعود الى هذا البيت عندما يرجع ابي من الجبال .
الام (باستسلام) : نعم . نعم . عندما يرجع من الجبال .
الصبي : لقد احببت بيتكما هذا . انه يذكرني بحلم رأيته منذ يومين .
الام : وماذا رأيت يا حبيبي ؟
الصبي : رأيت ابي يعود من الجبال وقد حمل في احدى يديه سنبلة وفي يده الاخرى كتابا . كان وجهه كانه قمر . اما عيناه فكانتا تضيئان كأن في كل منهما لؤلؤة .
الام (بلهفة) : وبيتنا هذا ؟ هل رأيته ايضا ؟
الصبي : نعم . رأيت ابي يضع السنبلة في يد امي ويضع الكتاب في

يدي ثم يقودنا الى بيت قديم لم اكن شاهدته من قبل .
الام : ايكون ذلك البيت بيتنا هـذا ؟
الصبي : نعـم انه هـو .

الام : لن استطيع ان احتمله بعد اليوم ان لم يصبح بيتك ايضا .
الصبي سيكون بيتي ذات يوم . اما الآن فانا ذاهب .
الام : ليتك لا تغادرنا . فاننا سنفرش لك اعيننا حتى تنام فيها .
الصبي : الم اقل لكما اننا سنعود الى هذا البيت عندما يرجـع ابي من الجبال ؟ أما الآن فانا ذاهب . اخاف اذا تأخرت ان ينال القلـق مـن امـي .
الام : كما تشاء يا بني . كما تشاء .

(يتقدم الطفل الى الباب ثم يتوقف كمن تذكر شيئا .)
الصبي : كدت انسى . (يمد يده الى جيبه ويخرج منها مرآة) كـدت انسى . لقد طلبت مني امي ان اعيد اليكما هذه المرآة . قالت انكمـا ستحتاجـان اليهـا .
الام : (تمد يدها لتأخذ المرآة ثم تضم الصبي اليها) ابني . ابني .
الصبي : هل اقول لامي شيئا ؟ هل ابلغها منكما رسالة ؟
الام : نعم . قل لها ان الطوفان لم يستطع ان يقتلنا . قل لهـا ان وجوهنا قد عادت الينا ، ان الدفء قد دب في عروقنـا مـن جديد . قل لها اننا كنا مسرورين لرؤيتك ؟ مسرورين جدا .
(يخرج الطفل ويغلق الباب وراءه . يعود الاب الى مقعـده والام الى مقعدها . فترة صمت) .
الام : هـل رأيـت ؟
الاب : لن نموت اذن . لقد قهر الطوفان .
الام : سأذهب لفتح النوافذ لعل الشمس تدخل بيتنا مرة أخـرى
(تذهب لفتح النوافذ فيدخل الغرفة ضوء كبير) .

الام : اترى ؟ يا لها من شمس عظيمة (تنظر الى الاب فتراه يبكي) مـاذا ؟ انـك تبكـي !
الاب : لقـد كان على حـق .
الام : (مبتهجة ومحاولة ان تسري عنه) انه عائد انه عائد .
الاب : واخجلتي منـه . لن اجد وجها اقابله بـه .
الام : لعله يغفر لنا ما فعلنـاه .
الاب : لن اجد كلمـات اقولهـا لـه .
الام (تأخذ كبة الصوف وتعود الى الحياكة بعزم) : سيكون هـذا الصـدار عليـه رائعـا .

الاب : (ذاهـلا) مـن ؟
الام : الصبـي .
الاب : أجل . أجل . (صمت طويل)
الام : هلا اطفأت النار ؟ فان الشمس تملؤني دفئا .
الاب : النـار ؟ اجـل .

(ينهض لاطفاء النار ثم يتوقف عند رزم الصحف القديمـة فيتأملهـا لحظة طويلة ثم ينقض عليها ويأخذ رزمة منهـا ويضعهـا في النـار ثم يأخذ في التفرج عليهـا .)
الام : (دون ان ترفع رأسها) ماذ تفعـل ؟
الاب : (وهو يبتسم) لا شيء . انها النـار ...
الام : مـا بهـا ؟

الاب : يخيل الي انها جائعـة . لقد عثرت على جماعة من اشباحي فالتهمتهـا .
(يتعالى اللهيب بينمـا يسـدل الستـار) .

دمشق

عمر النص

هكذا انتصر «الفيتكونغ»

بقلم

رميون نشاطي

« فقد « الفيتكونغ » منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا مـا يقرب مـن نصف مليون مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذيـن تلفت اعصابهم وانهال عليهم اليأس .. ورغـم ذلـك ، صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم أكبر ، وبقدرة دفاعية أقوى حتى استطاعت أن توجه ضرباتها المتتالية في قلب العاصمة سايغون التي تنتظر الآن هجوما كـاسحا عليها ...

« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومـن جانب الولايـات المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .

كتاب نحتاج اليه الآن ، لانـه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاسترداد ارضنا المسلوبة ..

٢٥٠ ق.ل

صدر حديثا